خاتم الامان

L' Anneau de la Paix.

معاجمنا لا تحوي الا شيئا من الفاظ لغتنا التي كانت شائعة قبيل الاسلام وفي صدره . واما المفردات التي نشأت في عهد العباسيين فلاتكاد تجد لها اثرا وانما تراها مبثوثة في كتب الادب والتاريخ والبلدان . ولهذا كان من الواجب تتبعها وتدوينها لتكون لغتنا حية . ومن جملة الكلم المولدة التي لا وجود لها في معاجمنا « خاتم الامان ، ومنديل الامان » وقد بحث عنهما صديقنا المدقق يعقوب افندي نعوم سركيس منقبا عنهما في الاسفار ثم جاءنا بتحقيقه لهما في المقالة الاتية : (لغة العرب)

للعوائد حياة ولا ريب في ان مصير حياة العوائد يوما الى الاهمال ان عاجلا أو آجلا .

اذا حدثنا احد اليوم عن خاتم الامان يستغرب الكثيرون قوله . واذا روى لنا صاحبنا ان المنديل قام بمثل هذه الوظيفة قد ينسب المطلع هذه العادة الى قرون كأن شيوخ جيلنا الحاضر لم يشهدوا ذلك في اوائل عمرهم . فرأيت ان اثبت ما وقع عليه نظري في هذا الموضوع لما فيه من اللذة وتدوين التاريخ .

ان المخطوط الذي عرفته بالحوادث الجامعة لابن الفوطي منهل غزير المادة وقد اتحفنا بخبر جاء فيه ذكر خاتم الامان قال المؤرخ في حوادث ٦٤٠هـ(١٢٤٢م) ذكر واقعة الاتراك (في بغداد)

« في شعبان حضر جماعة المماليك الظاهرية والمستنصرية عند شرف الدين اقبال الشرابي للسلام على عادتهم وطلبوا الزيادة في معايشهم وبالغوا في القول والحوا في الطلب فحرد عليهم ، وقال : ما نزيدكم بمجرد قولكم ! بل نزيدمنكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها ذلك . فنفروا وخرجوا على فورهم الى ظاهر السور وتحالفوا على الاتفاق والتعاضد فوقع التعيين على قبض جماعة من اشرارهم فقبض منهم اثنان وامتنع الباقون وركبوا جميعا وقصدوا باب البدرية ومنعوا الناس من العبور فخرج اليهم مقدم البدرية وقبح لهم هذا الفعل فلم يلتفت اليه فنفذ اليهم سنجر الياغر فسألهم عن سبب ذلك فقالوا : نريد ان يخرج اصحابنا وتزاد معايشنا . فانهى سنجر ذلك الى الشرابي فاعاد عليهم الجواب : ان

المحبوسين ما تخرجهم وهم مماليكنا نعمل بهم ما نريد . ومعايشكم ما نزيدها . فمن رضي بذلك يقعد . ومن لم يرض واراد الخروج من البلد فنحن لا نمنعه . وطال الخطاب في ذلك الى آخر النهار . ثم مضوا وخرجوا الى ظاهر البلد فاقاموا هناك مظهرين للرحيل فبقوا على ذلك اياما فاجتمع بهم الشيخ السبتي الزاهد وعرفهم ما في ذلك من الاثم ومخالفة الشرع ، فاعتذروا وسألوه الشفاعة لهم وان يحضر لهم « خاتم الامان » ليدخلوا البلد فحضر عند الشرابي وعرفه ذلك وسأله اجابة سؤالهم ، فاخرج لهم « خاتم الامان » مع الامير شمس الدين قيران الظاهري والشيخ السبتي . فدخلوا والشيخ راكب حماره بين ايديهم وحضروا عند الشرابي معتذرين فقبل عذرهم . وكان مدة مقامهم بظهر السور سبعة ايام ! » اه .

وجاء ذكر خاتم الامان بعد ذلك التاريخ بنحو مئة سنة في كتاب عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب اذ ادخل فيه مولفه نبذا تاريخية . وملخص خبر هذا الكتاب بشأن خاتم الامان (ص١٢ وما بعدها من طبعة بومبي ١٣١٨) ان الشريف احمد بن رميثة كان مقيما في الحلة نافذ الامر ، عريض الجاه ، كثير الاعوان ، الى ان توفي السلطان ابو سعيد (في سنة ٧٣٦ هـ ـ ١٣٣٥ م) فاخرج الشريف من الحلة حاكمها الامير ابن الامير طالب الدلقندي الحسيني الافطسي وتغلب على البلد واعماله ونواحيه . ولما تمكن ببغداد الشيخ حسن ابن الامير اقبوقا اراد هذا اخذ الحلة من الشريف بدون ان يقدم اليها لكنه عجز عن اخذها بهذه الصورة فقصدها بنفسه واحاط بها . ثم رأى ان يرسل الى الشريف شيخ الاسلام بدر الدين المعروف بابن شيخ المشايخ الشيباني فامنه وحلف له واعطاه « خاتم الامان » انتهى ما اردت تلخيصه .

منديل الامان

Le Mouchoir de la Paix.

رأينا في ما تقدم ان الخاتم كان شارة للامان فبقي علينا ان نرى المنديل حاملا السلام قائما بما تكفله الخاتم .

جاء في معجم المستشرق دوزي الذي وضعه في اسماء الالبسة

عند العرب [1] (ص ٤١٥) شواهد اراد بها صاحبه ان يستقصي بما يراد بالمنديل وصورة استعماله كلباس وقطعة نسيج يحتاج اليهـا الانسان وغير ذلك ومما جاء به هذا المستشرق انه اقتطف نبذتين من كتاب الف ليلة وليلة فيهما ذكر منديل الامان . وهذا كلام المعجم :

« فقال : اخي اراد الامان فاعطاه « منديل الامان » (١ : ٢٧١ طبعة مكنكتن)

« فقال الشاب : العفو يا امير المؤمنين ! اعطني « منديل الامان » ليسكن روعي ويطمئن قلبي . فقال له الخليفة: لك الامان من الخوف و [لك] الاحسان (٢ : ١٨٥) » اه .

وقد يتبادر الى الخاطر ان امر اعطاء منديل الامان في الف ليلة وليلة من تلفيق المؤلف الواسع الخيال . لكننا نستفيد مما اقتطفه دوزي ايضا من مخطوط للنويري في تاريخ ديار مضر ان اعطاء منديل الامان كان من الامور التي تقع بالفعل فقد قال النويري (٢) :

« فجاء الملك الصالح اسماعيل بعساكره الى القدس وصحبته الفرنج فارسل الى الشيخ بعض خواصه « بمنديله » وقال له : ادفع اليه « منديلي » وتلطف به واستر له وعده بعوده الى مناصبه » اه .

هذا ما كان قبل مئات من السنين وقد كان مثله في النصف الثـاني من القرن الماضي . وهنا ادرج صورة الوثيقة التي عندي وهي تتعلق بهذا الباب و لها شأن في تاريخ المنتفق فضلا عن تعريفها ايانا ببقاء هذه العادة الى هذا العهد القريب . وهذا نص الوثيقة التاريخية بوضعه المغلوط :

ذو النجابة ناصر (٣) السعدون

وصلنا معروضك . وصار معلومنا كافة ما ذكرت من الافادات خصوصا من بيان السبب الداعي لالتماسك الرأي والامان الثاني من طرفنا في قرآن ممهور وان الاشتياه والوسوسة الحـاصلة لك ناشيء من الاوراق والكواغد الواصلة اليك المرسولة مع كاتبك ملا خضر لطرفنا . فيكون معلوم جنابك ان

(1) R. A. Dozy - Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam. 1845.

(٢) كانت وفاته في سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) (٣) يعني ناصر باشا .

الاوراق المذكورة مشتملة على بيان عزل [اخيك] منصور [باشا] وما فيها ذكر جنابك . وعلى الخصوص تاريخها مقدم على تاريخ شقة الرأي والامان التي ارسلناها اليك مؤخرا . فيقتضي ان لا يمر في خاطرك شيء من الوسوسة ويلزم ان تعتمد على رأينا وامانتا الوثيق بلا اشتباه . واجزم بان جوابنا لا يتبدل ولا يتغير . عفا الله عما سلف .

وبهذه النقمة قد سيرنا لك مع ملا خضر « كفية الراي والامان » لاجل اطمئنان قلبك . فاذا صار ذلك مفهومك ينبغي ان تتوكل على الله تعالى وتجي الى طرفنا . وانت مأمون وما تشاهد من جانبنا سوى حسن الالتفات . تجي ظالما وتعود الى محلك سالما . ولا حاجة فوق ذلك الى طول الكلام هكذا يكون معلوم جنابك والسلام .

في ٢٩ شعبان ١٢٨٠ وفي ٢٧ كانون ثاني ١٢٧٩ (١٨٦٤ م) . [الخاتم:] محمد نامق (١) » .

ومن المعلوم ان العراقيين يطلقون كلمة الكفية على المنديل . وهذه الكفية التي ورد ذكرها هنا هي عندي مع الوثيقة وما تقدمها من رسائل نامق باشا التي كان قد بعث بها الى ناصر [باشا] وفيها يستدعيه الى بغداد ولم يكن قد صار شيخا بعد . وتلك الكفية هي من نسيج دقيق من الكتان ولونها ابيض تشوبه سمرة لعتقها وزواياها مطرزة بالقصب فهي من النوع الذي كان يسمى جورة (بفتح الجيم المثلثة وسكون الواو وفتح الراء) وكان يرد من الاستانة . وكلمة جورة تركية معناها المنديل المطرز الاطراف . وكان هذا اللفظ مستعملا بين ظهرانينا وقد هجر اليوم اذ لا يؤتى منذ امد بمثل هذه الكفاني (٢) من الاستانة لتدفق المنسوجات الاوربية علينا .

ولا يبعد ان تكون كفيتنا هذه الاخيرة من الكفاني الحاملة السلام والامان في عراقنا المحبوب وان بها كان عندنا العهد الاخير لتلك العادة دفينة بطون التاريخ .

بغداد يعقوب نعوم سركيس

(١) والي بغداد . (٢) جمع كفية في كلامنا الدارج وموافقة للقواعد المشهورة .